أثر الخيوط
ديوان شعر
آدم عربي

!نساء

د .ادم عربي

تكبرُ الطفولةُ بينَ يديْكَ

فتتركُنِي أجيءُ إليكَ

وأنتَ لا تفهمُ ما تفهمُهُ

الشحاريرُ لتُغَنِّي

تصغرُ الرجولةُ بينَ يديَّ

فأتركُها تجيءُ إليّ

وأنا لا أفهمُ ما تفهمُهُ

النواضيرُ لتُمَنِّي

تقولُ البراءةُ ما لمْ تسمعْ

ليكونَ ذنبُكَ

ويكونَ حقُّ العقابِ

الحبَّ ليسَ انتقامًا منكَ

أو ثأرًا لقلبي

تقولُ الخطيئةُ ما لم أسمعْ

ليكونَ ذنبي

ويكونَ حقُّ العقابِ

التلبُّسَ ليسَ مفاجأتَكَ لي

أو حثَّكَ على استسلامي

تعاني الفتاةُ التي صرتُهَا

من صيرورَتِكَ معها

فأنتَ تراها ولا تراها

وهي تراكَ مِنْ عينيكَ

في عينيها

هل أقولُ للقمرِ أنْ يقولَ لكَ

ما في قلبي من شجون؟

أخافُ على القمرِ

مِنْ حزنِهِ عليَّ

أنْ يصابَ بالجنون

هل أمزقُ فساتيني في الشمسِ لتدري؟

أخافُ على الشمسِ مِنْ غضبِهَا

لأجلي أنْ تحرقَ الأرضَ

..ومنْ عليها فمنْ يدري؟

*****

!ذيلُ ثعبان

تَتَفتَّحُ مِنْ فحمةِ اللَّيلِ

زهرةٌ جميلةٌ

كريهةُ الرائحةِ

كذيلِ ثعبان

كانتْ مُدُني القتيلةُ

براكينَ النيران

كانتْ أقطاري العليلةُ

بساتينَ الألوان

كانتْ المدينةُ الأسيرةُ

حِمَمُ بركان

كيفَ أقتلْهم

وهم القتلى؟

كيفَ أخنقْهم

وهم المرضى؟

كيفَ أعلقْهم

وهم الموتى؟

زهرة الموتِ مِنْ هذه الناحيةِ

ذابلة

زهرة الموتِ مِنْ تلكَ الناحيةِ

حائلة

زهراتُ الموتِ مِنْ باقي النواحي

متسائلة

يموتُ قلبي في الخريفِ

الأشجارُ تتعرَّى

يضيعُ عمري في الطريقِ

الأيامُ تتتالى

يغيبُ قمري في التأويل

الحقائقُ تتلاشى

يطفو دماغي على التحليل

الحيتانُ تتسلى

الصدقُ في مرآةِ الكذبِ

كذب

الحقيقةُ في مرآةِ الخيالِ

خيال

الأملُ في مرآةِ اليأسِ

يأس

سأقولُ للذئبِ أنتَ أخي

فلا تحزن

سأقولُ للثعبانِ أنتَ أبي

فلا تيأس

سأقولُ للعقربِ أنتَ أمي

فلا تغضب

القذارةُ في مرآةِ النظافةِ

قذارة

العمالةُ في مرآةِ الأمانةِ

عمالة

السَّفالةُ في مرآةِ الطهارةِ

سفالة

الحقارةُ في مرآةِ الحضارةِ

حقارة

القمرُ المحاقُ

في ظلامِ اللَّيلِ

ظلام

والصَمَمُ المُصَابُ

مِنْ طَنينِ الذبابِ

كلام

والشّمسُ

في ظلام ِالقبرِ

نهار

القلبُ المشتاقُ

في غمامِ الحبِ

غمام

والجسد

في غمامِ القربِ

أمطار

والمصيرُ

في كلامِ الورقِ

أخبار

والفعلُ

بمقاييسِ الزلازلِ

دَمَار

هلْ الصبحُ

بعدَ اللَّيلِ

أمْ في الأصلِ

كانَ

..النهار؟

****

!قرابينُ البرتقال

عندما أكون محكومًا عليّ بالصياح

أمتطي حصان الضباب

لأتحدى العالم أجمع

ولا أتعب

طائر ضائع بين رام الله والبحر

يبحث عن عنوان صائد

ليُقْتَل

والقمرُ يغرق

لَنْ يبحرَ الجرحُ

لَنْ يتفجرَ البركانُ

فالكلابُ ترقصُ وهي تنبح

أنا عيناك العمياوان

أنا جناحاكَ الداميان

لو كانَ يعلمُ أنّهُ أبو إبنتي

وزوج حفيدتي التي

لم تولد بعد

الحلم الذي سيكون لنا في الغد

أتعلمُ أنكَ حقولُ القمحِ

التي تنتجُ الذهب

البرتقالُ الذي كانَ لا يتكلمُ سوى لغتي

يتكلمُ الآنَ لغتَك

أريد أن أقدم نفسي قربانًا لم يفعله أحد سواي

أريد أن أغرق في بحيرة من أجل نزهة معك

فقرر أن يواصل

أنا لنْ أقاتلَ الأمواجَ في بحرِ الزمن

أنا لنْ أغامرَ

بالقُبَل

أنا لنْ ألتفتَ برأسي كالسنونو

الحائرِ

إلى قفصِ المحكمة

أنا لنْ أرى مِنَ الأيامِ

سوى

يومَ عرسِ ابنتي على ابنِكَ

أنتَ يا أخي

لنْ تبكيني

بعدَ السكنِ في الماء

أنا يا أخي

لنْ أبكيكَ

بعدَ السكنِ في السماء

أنا خالدٌ

في عالمِك

أنتَ خالدٌ في عالمي

طيوري وطيورُكَ تحلقُ

فوقَ

قبابِ العالم

الحياةُ لونُهَا

أخضرُ

..كلونِ الهلاك

*****

!المفاتيحُ لديّ

كيفَ افتحُ الأبوابَ

وأنتِ تغلقينَهَا

عليّ؟

العالمُ حجرة

بلا أبواب

والمفاتيحُ لديّ

أجيءُ إليكِ

أمْ تجيئينَ إليَّ؟

لا تناديني مِنَ الزمنِ القديم

ارتديتُ

الدقات

لا تقبليني وأنا في المرآة

كسرتُ

العناق

لا تهمسي في أذني

أَصمَّني

الصياح

تريدينَ العودةَ

إلى

زمنِ الاتهام

تريدينَ اللعنةَ

من

فَمِ النسيان

تريدينَ الحنطةَ

بعدَ

ليلِ القمح

أبحثُ عَنْ شارعٍ

في الضباب

أرشقُ بالثلج ظلَّكِ

فيضحكُ الشتاء

أُقَبِّلُكِ في المرآةِ

وأعانقُ الموت

ترتدينَ جسدي

وتُخطئين بالثوب

كيفَ حالُكِ

عندَ النهوضِ

مِنَ النوم؟

هَلِ الأزرقُ في عينيكِ

لَمْ يزلْ

يحلم؟

وساقاكِ

ألمْ يَعْيَ فيهِما

البشرُ في عرضِ البحر؟

كنتُ أحمِلُكِ بينَ ذراعيّ

وألقي بكِ

في الطفولة

كنتُ لا أعلمُ عندما تكبرين

كيفَ

أناديكِ

ابقي طفلةً بينَ ذراعيَّ

الوطنُ

أنا

في الشتاتِ أنا لنْ أجدَكِ

تنتظرينَ

..على قنطرة

*****

!باقةُ صَبَّار

سأقولُ ما لم يقلهُ أحد

وأُعَلّمُ الشعرَ كلَّ مَنْ جَدّ

الرمالُ للنساءِ كُتُبُهَا

البتولُ على الشاطئِ

البحرُ قصتُهَا

..يا وجعي

احفرني للأحياءِ قبرا

احملني للأمواجِ البحر

ماذا أفعلُ بكَ يا وجعي

غيرَ أنْ أنحتَ للسخرية التماثيل؟

غيرَ أنْ أطفىءَ القناديل؟

المومسُ لا ترى أسبابَ الظلامِ

عندَ غيابِ الشمسِ خلفَ مخدتِهَا

ولا القُبَّرة

لنْ تراهنَ السيقانُ البيضاءُ

في الشوارعِ السوداءِ

على مراكبِ السعادةِ

المُبحرةِ

ينوحُ العدمُ على الأشياءِ

مَعَ حبلِ المشنقة

.. لا تنتظرْ

اجتياحَ القلوبِ الساخنة

يعوي الحزنُ في القصورِ ويهدمُهَا

يتربعُ على عروشِ الآلهة

ماءُ البحيرةِ كانَ مِنْ دموعِ النساءِ

اللاتي ترملنَ في الليالي المقمرة

رمالُ البحيرةِ كانتْ

بنعومةِ أثداءِ الأسماك

الطافيةُ على سطحِ الماء

لا تقطفيني

!وأنا أجملُ زهورِ الغباء

قمرُكِ المأفونُ

!أنا في المساء

قلمُكِ المجنونُ

!أنا يومَ تغدرُ بِكِ الأيام

في مراياكِ أراها نظيفةً

تلكَ الورودُ الموحلة

..وتلكَ الأفاعي

أراها كخصورِ النساء

أنا أعرفُ

كيفَ أكتبُ الكلمةَ

كيفَ أبتكرُهَا

مِنْ مِدادِ الافتراض

وكيفَ أُراقصُها

إنْ خانتْ

...على قرعاتِ الطبول

****

!للشيطانِ اسْمٌ

أجنحةُ الموتى

لَمْ تتحركْ

في الحربِ الأخيرة

كانتْ

كثيرة

كانتْ تتكوَّمُ على بعضِهَا

دموعُ الطيورِ

تساقطت على أجنحةِ الموتى

حزنًا عليها

رَفَعَتْهَا

على القوارب

وألقتِ المجاديفَ عليها

جاءَ الصيادونَ ببنادقِهِمْ

ليطلقوا الرصاصَ

في الأجسادِ القتيلة

كانوا يبكون

وكانَ ظلٌّ كبيرٌ يغطي

المعاول

نصبَ الآباءُ

خيامَ

العزاء

والأمهاتُ مَعَ الطيورِ يشربنَ القهوةَ

وهنَّ

صامتات

فتحتْ أمٌ صدرَها

ومنهُ

أخرجت قلبِهَا

فحملَهُ طائرٌ

بمنقارِهِ

وألقاه

قهقهةَ الماء

وفي خيامِ العزاءِ

كانوا يغنون

كانَ الشيطانُ

يعزفُ

اللحنَ الأخير

نظروا إلى الناحيةِ التي يحفرُ فيها

الموتُ

القبور

كانتْ تأتي منها

رائحةُ

اللوزِ الأخضر

وكانتْ هناكَ امرأةٌ

تنظرُ

إلى جثةِ ابنِهَا

سالتْ

على خديِ المرأةِ الجامدةِ

الدموع

وفي السماءِ

برقٌ ذهبيٌّ وهمسٌ كانَ

همسَ الرعود

قبَّلتِ المرأةُ ابنَهَا

وقامتْ

تسير

على الشاطئِ

كانتْ أسماكُ القرشِ

تبكي

وأرديةُ الليلِ

بدأت

تتساقط

احتضنتِ الأمُّ

موجةً

شدتْهَا بقوةٍ على صدرِهَا

ولمْ تفطنْ

إلى كونِهَا جعلتْهَا

..تئن

****

!ماذا ولماذا

ماذا بعدَ النومِ؟

في أرضِ الموتِ

أجدُكُ غانيةْ

ماذا بعدَ الوهمِ؟

في أرضِ الوقتِ

أجدُكِ راهبةْ

ماذا بعدَ الغيمِ؟

في أرضِ القحطِ

أجدُكِ باغيةْ

ماذا يا قلبي

بعدَ أنْ شاخَ ظلي

في القبرِ؟

ماذا يا حبي

بعدَ أنِ احترقتِ النارُ

في الثلجِ؟

ماذا يا دمعي

بعدَ أنْ بكتِ النساءُ

عليْ؟

لماذا الظلامُ شديدٌ مِنْ هنا

عندما تذهبينَ

ولا تلتفتينَ؟

لماذا الماءُ في البحرِ مالحٌ

وأنتِ فيهِ تعومينَ

وتحلمينَ؟

"لماذا تقولينَ لي يا حُبِّي "ابتعدْ عني

وتقتربينَ

وتميلينَ؟

سنلتقي بِقَدَرٍ قليلِ القَدْرِ

ماذا لَوْ نقتلُ الرياحَ

في المساءْ؟

سنذهبُ في الزمانِ

غريبينِ عَنْ نفسينا

ماذا لَوْ نؤاخي الضباعَ

في حدائقِ البقاءْ؟

سننادي في الطرقاتِ

على لا أحدْ

ماذا لَوْ يأتي بالناسِ عرايا

عمالقةُ الهواءْ؟

أكونُ وحدي

الأشياءُ معي

لماذا؟

أكونُ وحدي

الأمواتُ معي

لماذا؟

أكونُ وحدي

الأبطالُ معي

لماذا؟

*****

!الماسة الحمراء

أشتري الذهبَ

بالذهب

أنا جلادُ ظهورِ العاج

لنرحلْ بعيدًا

عنْ عالمٍ يزني

بظلالِنَا

أنا قُرصانُ ماسِ التاج

أحبُّ في جلالتي

عدمَ التواضعِ للتواضع

لِمَاسةٍ في تاجي

حمقاء

في ميدانِ الطرفِ الأغرّ

حصانٌ لقائدٍ منتصرٍ

مِنْ دمِنَا النقيِّ

كانتْ

الماسة

حمراء

بيني وبينَ الأمواج

شارعُ

يبيعُ الزمانَ

لي وللحمام

حيٌّ

ينادي نوافذه

فخرجتُ

مِنَ

البابِ

وكانَ معي الإمام

كنا العابرينَ

في

أزمانِهِم

في لوحةٍ

مِنَ اللوحاتِ

كانتْ فيها

النساءُ

عاريات

كانتْ أسماكُ القرشِ

تبكي

وأرديةُ الليلِ

بدأت

تتساقط

أجنحةُ الموتى

لَمْ تتحركْ

في الحربِ الأخيرة

كانتْ

تلكَ المراكبُ التي تعبرُ

النهر

لا يسمعُهَا المشردونَ

مِن

تحتِ القناطر

تراها

الأعمدة

بشراً

في

المعابر

ستلعبُ مَعَكِ

في معبر الموتِ

الزنابقُ

الحمراء

في البحرِ الميتِ

الأسماكُ

الزرقاء

في الحُلْمِ المستحيلِ

الحقائقُ

البيضاء

مَنْ فتحَ للموتِ الطرقَ

في جسدِ الجنون؟

وطفلٌ

ينامُ نومَ المبضعِ

في سريرِ الجراح

في قبرِ المجون

أرادَتْ أنْ تُغرقَ

البحرَ

في كأسِ الأمواج

كنتُ الأمواجَ الساكنةَ

على شواطئِ

المايوهاتِ الحمراء

كانَ الفرجُ

قصرًا بلا أبواب

والنبعُ بغداد

طفتْ

بثدييها

على سطحِ الخلود

وغنتْ أغنيةً للغيم

..في جنازة المطر

*****

!في بلادي

في بلادي

خَرَجَ عَنْ صَمْتِهِ الحَجَر

عربٌ ويهودٌ

يتقاسمونَ زَخّاتَ المَطَر

الخنزيرُ يشربُ دمَنا خمراً

وكلانا نُحَرِّم السُكْر

نقتلُ إنسانيتَنا

بأمرِ الشيطانِ

الذي يقيمُ

في القمر

تهَوَّدَ الربُ على أياديكم

وتَصَهْيَنَ على يدِ التَتَر

انزعوا ريشَ هُدهُدكم

ودعونا نعيشُ كما البشر

الخمرُ آفةٌ كالمرجوانا

يشربُهُ المحيطُ

فينشف

الأَسْوَدُ متعةُ العيونِ

يَرسمُهُ الليلُ

فيعشق

البياضُ أسْوَدٌ بغيرِ خمرٍ

ما اسْوَدَّتْ بها عينهُ

فيشرب

على الطاولةِ الزرقاء

جهنمُكَ الحمراء

أوْ

جثتُكَ الدنيا

في صحنِكَ لحمُكَ الحلالُ الذي تشتهيه

أوْ

أرُزُّكَ الذي من تايلاندا

اللحمُ والميسرُ

مُهلّكٌ للصحةِ والجيبِ

كلاهما

الصومُ نعمةٌ وصحيّ

في كلِّ الأديان

وبدونها

الإفطارُ نقمةٌ وغير صحيّ

في كلِّ الأديان

وبدونها

البرتقالُ سحريّ

في كلِّ الأديان

وبدونها

بينَ القمرِ والبرتقالِ قصيدةٌ

تقرأها الأشجار في يافا

بينَ الرملِ والنحلِ أوراقٌ

تكتبُها الورودُ في يافا

بينَ النجوم ِوالأسماكِ أقلامٌ

يكسرُها الأشرارُ في يافا

أنا قُرْصَانُ الحبرِالأسود

كَنْزِي الجماجمُ في المدافنِ

أَدْفِنُ البحرَ مَعَ جُثَثِ الأَسماك

ومناقيرِ النوارس

أوْ

آكلُهَا نيئةً

كالمحار

****

!سيميائيات

يسرقُ القمرُ الذهبيُّ

الذهبَ مِنَ الشمس

وفي قفصِ الحُلْمِ

الذي نحنُ فيه

يقفلُ علينا الباب

يسوقُ القمرُ الفستقيُّ

المراكبَ في بحارِ الرمل

وفي الأمواجِ يلقي

الفستقَ الحلبيَّ للأمواج

ينظرُ القمرُ الحزينُ إلى البشرِ

قبلَ الوداعِ ونحنُ نقهقهُ لذهابِه

وفي الكونِ يحتفلُ الذئابُ

على مصرعِ القمر

وهوَ مِنْ موتِنَا

على بُعْدِ خطوات

يذوبُ القمرُ الماسيُّ

في محيطِ الليل

وفي شوارعِ المجرات

يغسلونَ الأرصفةَ

باليأسِ والماس

بكاءٌ في الليل

امرأةٌ ورجلٌ

في الضوءِ الأزرق

يقبلانِ بعضَهُمَا

فعلٌ أحمق

القبلةُ على الفم؟

!الحلقُ الذي يشهق

صياحٌ في الزقاق

رجلٌ يطلقُ الرصاصَ

مِنْ مسدس

امرأةٌ تسقطُ على الأرض

بجسدِهَا المضرَّج

يلقي الرجلُ بجسدِهِ على جسدِها

وهوَ يبكي

ويصرخ

موسيقى مِنَ النافذة

وصيحاتٌ

وكلماتٌ ماجنة

وضحكاتٌ

وهمساتٌ خافتة

وتهديداتْ

بالموتِ انتهت

برجلٍ وامرأةٍ

..يسقطانِ بإرادةٍ عابثة

****

!الماءُ والنار

بجدليةِ النارِ والماءِ

في الحرائق

للأطفالِ المقهورينَ

في دربِ

المرايا

للبنادق

للأشجارِ التي جذورُهَا

في مملكةِ الرب

وأغصانُهَا في مملكةِ الشَرِّ

كبيوتِ العناكب

تقيءُ أغصانُهَا

مِنْ أفواهِهَا

وَكْرَ العقارب

هكذا علمتْنا الأيامُ

كيفَ نُقاوم

والبحرُ يغرقُ

في قارب

أنا والمجدُ غمامتان

ننادي على الأقمارِ

في النهار

لنمشي على الأمواجِ

في البحار

اِلقمرُ المحاقُ في ظلامِ اللَّيل

ظلام

والشمسُ في ظلامِ القبرِ

نهار

اِلقلبُ المشتاقُ في غمامِ الحُب

غمام

والجسدُ في غمامِ القربِ

أمطار

القدرُ المعاقُ في كلامِ اللهِ

كلام

اِوالمصيرُ في كلامِ الورق

أزهار

أنا قنينةُ الحليب

والعذابُ اللذيذ

والسلاسل

لأنَّكم أحرقتم الأرضَ

وأنا أحرقتُ البحار

والمراكب

لتغني الحيتانُ في جنازتي

والنوارس

أينَ الأمواج؟

أينَ المراكبُ المحطمة؟

لتقهقهَ الرمال

لتهبطَ الملائكة

لتهرعَ الأممُ

إلى أحضاني

والجزرُ الطافية

والعواصف

أنا الأقدار

في حاناتكم

أنا خمورُكُمْ

..في المقابر

*****

!أنا الشاعرُ والشهيدُ

أَنَا الأغصانُ المزهرةُ

في

كلِّ

الفصول

يكفي أنْ تقرأَ

شعري

أنْ تنظرَ إليَّ

بينَ

السطور

أنا البريئُ

أدينُ نفسي

أنا المذنبُ

لذنبِ

غيري

القاتلُ متنكرٌ

بالقتيل

المجرمُ أخو المجرمِ

في

التاريـخ

المتواطؤُ الأحمقُ

منا

كثير

أنا رهينتُكُمْ

وأنتمْ أفواهُ المدافع

أنا نكبتُكُمْ

وأنتمْ أعمدةُ الروافع

أنا دليلُكُمْ

...وأنتمْ أهلُ القوافل

*****

!موسيقى النعل

عندما يُحِبُّنِي القمرُ

تطلعُ الشمسُ

فِي اللَّيلِ

فَتَكْرَهُنِي النجومْ

عندما تتساقطُ

أوراقُ الشجرِ

على جسدي

العاري

تعوي الذئابُ

مِنَ البردِ

فَيُدْفِئُهَا الخريفُ

بالغيومْ

عندما أقولُ للرياحِ

هناكَ أسكنُ

تثورُ العواصفُ

تحتَ دِرَفِ النوافذِ

فَتَمُوجُ البحارُ

المحطمةُ مراكبُهَا

على رملِ الهمومْ

لنشرب البحارَ

على مدِّ البصر

لنحرق القارات

في لمحِ البصر

لنسقط الأقمارَ

في عزِّ الظهر

لقد سكنَ الجنون

لِيَجُنَّ

العقل

ليكونَ العالمُ

موسيقى

النعل

ليصرخَ البشرُ

مِنْ أفواهِ الحشاشين

في ليالي

القتل

أنا لا أريدُ أنْ

أدركَ أيَّ شيءٍ

...مِنْ قَرْصِ النحلِ

*****

!موتُ الإنسانية

جراحُ الشوارعِ فيها

مراكبُ الموتِ تبحرُ

كانَ وجودُ البحثَ

عَنِ المكانِ الضائعِ

ومَعَهُ يضيعُ البشرُ

في المقابر

كنا في الزمنِ الذي تركناهُ حقائبَ

سَفَرٍ على أكفِّ الرياح

اليومَ

يهربُ المكانُ منا

نأتيهِ

فينأى

على شراع

قد قتلَ العالمُ الإنسانية

ولطفلٍ قالَ الوداع

أرادَ القمرُ أنْ

يبقى معلقًا على الجدار

كالقنديلِ الذي لا ينطفئ

كالفضةِ في

انتظارِ البحثِ عنها

كالماسِ الذي لا يَلِد

أرادتِ الأكوانُ أنْ

تكونَ المعارك

لتبقى البنوكُ آباءَ المدن

والرَّفاهُ في بصاقِ الذهب

أرادت أنْ تكونَ المجهولُ

ليبقى الأمرُ أمرَ الواقع

وأوروبا بانتظار يومِ الأحد

في الكابوسِ الإنسانيّ

في البيتِ الذي لا نوافذَ فيه

في الكوبِ الذي لا شراب فيه

في الرمادِ الذي لا دخانَ فيه

في اقتراحِ اليأسِ الأخضر

في احتفالِ اللونِ الأصفر

في عِناقِ النصلِ الأحمر

نامتْ قبل نشرةِ الأخبارْ

في مساءِ تلكَ الليلة

والليلُ

يسهرُ

مِنْ

وراءِ

النافذة

كالقطِّ

الأسود

ماذا أقولُ لمنْ

يُعلفون في زرائب

السلاطين

كالحيوانات

في المِدْوَّد

عادتْ إلى القيء

إلى التماهي

إنسانيتُنَا مِنَ القيء

تبدأُ وتنتهي

على حافةِ القبر

تُعاني

تريدُ أنْ تقذفَنَا مِنْ أعمقِ هُوَّةِ

في أحشائِهَا ونحنُ بعدُ لَمْ نتكوَّن

نحنُ الذينَ نتكوَّنُ مِن نصلِ سكين

ذي رائحةٍ كريهة

تكادُ تتفجر

نحنُ القساةُ

قبلَ أنْ نتحرر

!كلُّ هذا البركان

لمْ تنتهِ مِنْ قذفِ الإنسانية

في المرحاض

وهناكَ مِنْ يبحثْ عَنِ التلهي بالتفاهة

بلاجدوى المكان

سيأخذُ الكلبَ ليقضي حاجتَه

في حوشٍ أوْ على جدار

القيءُ يثير رغبتَهُ في التبول

جنسٌ منقوشٌ مِنْ ماء

أنتَ تُضحكُني وتُضحكُ العالمَ

عالمُ الكلاب

كانَ ضميرَهَا المعذَّب

كجذوعِ السرو

كأوراقِ العنب

الإنسانيةُ

لمْ تتسعْ طفلاً

بلا

..رعب

****

!نحنُ غربانُ الوقت

نحنُ غربانُ الوقت

الآلهةُ

مِنْ مناقيرِنا

نحنُ ثعابينُ العبادة

الأديانُ

مِنْ قرونِنَا

!نحنُ نبكي

البحرُ

مِنْ دمعِنَا

!نحنُ نتأوهُ

الخنجرُ

مِنْ آنينِنَا

!نحنُ نتألمُ

فِرْعَونُ

مِنْ عذابِنَا

سنهدمُ العالم

حجرًا حجرًا

نفتحُ أوروبا

بلدًا بلداً

على خشباتِ واشنطن

أبني السحابَ

سحابًا سحابا

بينَ أعمدةِ الكونغرس

أحررُ البيضَ

واحدًا واحدًا

في الجحيم

الرقصُ معركةٌ

ننتصرُ

فيها

الرقصُ ثورةٌ

يتساقطُ الثلجُ

منها

الشياطينُ لا تبكي

وأنتِ

تبكين

الشياطينُ لا تحلمُ

وأنتِ

تحلمين

الشياطينُ لا تنادي

على عابرِ السبيل

وأنتِ

تنادين

نحنُ الشياطينُ

كلُّ أرصفةِ العالمِ

لنا

أرصفةُ يافا

حلباتُ

رقصِنَا

وأرصفةُ لندنَ

موسيقى

عزفنا

عندما أقولُ

غزّةَ

ينكسرُ القمرُ

غزّةَ

يشتعلُ المطرُ

غزةَ

يجتمعُ التتر

فيجيءُ نابليونُ

قبلَ أنِ نكسرَ القناني

ونحرقَ صناديقَ الدخان

سأواجهُ البرابرة

يا حبيبتي

سأحالفُ السماسرة

سأدافعُ عَنِ القرطِ

الذي في سُرَّتِكِ

عَنْ عطرِ الضراوة

عَنِ الإسورةِ

التي حولَ قدمِكِ

عَنْ هذياناتِ السكارى

بحبِّكِ

سأتركُكِ تذهبينَ

كَيْ أموتَ وحدي

حبُّكِ هُوَ الاحتمال

احتمالُ ما لا يُحتمل

غزّة المحال

الخنجر

سأتركُكِ تعيشينَ

كَيْ أكونَ وحدي

بينَ الجماجم

ومناقيرِ الحمام

غزّةُ الدقائق

الحكاية

سأتركُكِ تُضِيئِينَ

كِيْ أنطفئَ وحدي

النجومُ تنطفئُ

وعيونُ الماء

غزّةُ المحاكم

نحنُ الشياطينُ

نحبُّ الرقصَ كثيرًا

على

الأرصفةِ

لأنَّها

مِنْ

إبداعِنَا

ولأن القمرَ

فيها

شيطانٌ مثلُنَا

****

!ورقةٌ مِنَ الشّعْرِ المنسيّ

في القطارِ امرأة

وجهُهَا الحزنُ

يبتسمُ للحزن

خجلُهَا لوحةُ

الذكرياتِ القادمة

تنظرُ إليَّ عندما

أُغمضُ عينيّ

أراها في الكتبِ بحرًا

للسفنِ الراحلة

ماذا أفعلُ بالمسافات

وهي تنامُ

أبعدَ مِنْ قبلة؟

ورقةٌ مِنَ الشّعْرِ المنسيّ

عندما أفتحُ عينيّ

أقرأها في الصَّمتِ شراعًا

ترسمُ على الزّجاجِ وداعًا

ماذا أقولُ للغياب

وهو يصحو

أقْرَبَ مِنْ نداء؟

أقولُ لهُ

أنّ الموتَ لم يمتْ

لكنّهُ تغيّرَ في الزمنِ

أقولُ لهُ

أنّ الذكرى تبقى

لكنّها تختفي في الظلمِ

أقولُ لهُ

أنّ الشرَّ يزدادُ

لكنّهُ لا يجدي نفعًا

أقولُ لهُ

أنّ الليلَ يطولُ

لكنّهُ يحملُ فجرًا

ورقةٌ مِنَ الشّعْرِ المنسيّ

عندما أغلقُ عينيّ

أحتفظُ بها في القلبِ شراعًا

ترسمُ على الزّجاجِ وداعًا

ماذا أقولُ للحضور

وهو يغفو بعيدًا عنْ صدى؟

*****

!الشيطان الأكبر

يافا لم يتغير اسمها

نحنُ لَمْ نرحلْ يا أبي

البحرُ لَمْ يزلْ هنا

واسمُ يافا لَمْ يتغير

نحنُ لم نتركِ الرملَ يا أبي

الموجُ لَمْ يزلْ هنا

وعنقُ يافا لَمْ يتهدل

نحنُ لَمْ نقطفِ البرتقالَ يا أبي

الشتاءُ لَمْ يزلْ هنا

وفستانُ يافا لَمْ يتمزق

نحنُ لَمْ نسافرْ في المساءِ يا أبي

النعاسُ لَمْ يزلْ بينَ أجفانِنَا

وسريرُ يافا لَمْ يتهدم

نحنُ لَمْ ننسَ الحمامَ جائعًا يا أبي

المنقارُ لَمْ يزلْ في أجنحتِنَا

وهديلُ يافا لَمْ يتوقف

نحنُ لَمْ نودعِ الغائبينَ يا أبي

الكلُّ حاضرٌ هنا

والحنينُ إلى يافا لَمْ يتبدل

نحنُ نقاتل الغرباءَ يا أبي

الغرباءُ كانوا أخوتنَا

وقلبُ يافا لنْ يعبأ

نحنُ نقطعُ مَعَ عاداتِ الأسماكِ يا أبي

البحرُ لنا وليس لغيرِنَا

وأزرقُ يافا لنْ يكمد

نحنُ لَمْ ننسَ قُبُلاتَنَا يا أبي

شفاهُنَا بها تذكّرُنَا

وفمُ يافا لنْ يقرأ

نحنُ لنْ نبحثَ عنَّا فيها يا أبي

هُمْ لَبِسُوا نحنُ فيها

وتاريخُ يافا يشهد

القَذِرُ يُعلنُ قذَارته

ويقصفُ اللهَ

بقذيفةِ مَدْفَع

قلبُه يتشَظَّرُ حزناً

وفي قتلنا

إرادته

لا تصدأ

****

يا أهلَ غزَّة

يا أهلَ غزَّة، لقد أسْمَعْتُم لو ناديتم حياً ولكنْ لا حياةَ لمن تنادون، فتوقفوا عن الصُراخ والنداء .إذا كنتم تُقتلون وتُذبحون، وإذا كنَّا نحن العرب الأحياء، فَهاهو الوقت جاءَ والذي فيه يَحْسُدُ الحي الميت!.

نعم !تُقْتَلون وتُشردون؛ ولكنَّكم لا تموتون، فأنتم أوَّلُ مَنْ يُقْتَل، وآخر مَنْ يموت؛ أمَّا نحن فمن النوع الذي فَضَّلَ حياةً كلَّها موتٍ على موتٍ كلّه حياة!.

توقفوا عن الانتظار، فهل تنتظرون طيراً أبابيل، تقذفهم بحجارة من سجّيل، إذا أردتم ما نملك ، دعاءنا فخذوه، سنكرم عليكم، فنحن ننعقُ دُعَاءً ونِدَاءً، أمَّا سيوفنا، فاعذرونا فإنَّها من خشب، وأعلى من قاماتنا جميعاً، فكُفُّوا عن إحراجنا!.

مجلس الأمن والعالم والامم المتحدة وحقوق الإنسان كلهم خَذَلوكم، فهذا ليس جديداً ، إنَّما هو ديدنهم .يا أهلَ غزّة إنْ شعرتم بالقنوط، فلا تقنطوا من رحمة إجتماع وزراء الخارجية العرب، فلقد قرَّروا وبعد الاتِّكال على الله، أنْ يدعوا مشايخ و أئمة المساجد إلى النفير العام، وأنْ لا يبخلوا عليكم، في هذا الوقت العصيب، بكثير من الصلاة، وأنْ لا يبخلوا برفعِ إلى الله، أنْ يهلك دولة يهود، وأنْ يمحقهم، ويرمّل نساءهم، ويُشتت شملهم ، ولسوف نستمرُّ في هذا الجهاد المقدس، شاءَ من شاء وأبى من أبى، .!فلن نقول لكم قول قوم موسى :اذهبوا أنتم وربكم إلى القتال، فإنَّا ها هنا قاعدون

يا أهل غزّة، يا آخر طلقة، وآخرما تبقّى من كرامة على هذه الأرض، وكبرياء الروح، إيَّاكم ثم إيَّاكم أنْ تستمعوا وتصدقوا اللذين أنكروكم، ويُنْكِروكم، فَهُم قَوْمٌ لا يعرفون سوى الخطابة، والفرار، والليالي الحمراء، ولن يتورَّعوا عن بيع جلودكم بعشرين من .الفضة، ولو كان مشتريها الجزَّار الذي يذبحكم

لا تُصَدِّقوا إلّا هذا الطفل الرضيع الذي قتلوه بدمٍ بارد، فهذا الطفل كتبَ لهم بدمه الوردي ما هو أجْمَل من إلياذة هوميروس، وملحمة جلجامش، والماهاراتا الهندية ، والشاهناما الفارسية، نحنُ وهم تعاوَنَّا على قتله، لأنَّه أرادَ تعليمنا الكرامة والأبجدية العربية، فَمِن أجل أنْ نكون عرباً لا يكفي أن تكون عيوننا سوداء، وأنْ نرتدي الكوفية، والعقال، والعباءة المصنوعة من وبر الجَمَل . لا يكفي أنْ نتمنطق بالخناجر المعقوفة، ونحفظ ألفية ابن مالك، وكتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني، ومقامات بديع الزمان .الهمذاني، ونشرب القهوة المرَّة .!هل استمعتم إلى وصية هذا الطفل؟

قد قال لكم صارخاً :كلُّ ما تسمونه جهاداً كانَ تسوُّلاً واستعطاءً، فالنصر تشحذونه دائماً كعادتكم من الله، تدخلون حروبكم بكلِّ ما أوتيتم من مواهب الخطابة، تمتطون أحصنة من خشب وتمتشقون سيوفا من خشب، تقاتلون سراباً، تُعْلَفون كالبهائم في زرائب السلاطين، تركعون، وتصلون حتى ملَّ الركوع منكم ، عقولكم مغيبة، تَطْحنون بطاحونة ولا تَمَلون، ولا تُفكرون، لا تطحن سوى الهواء، فإنَّكم بشرٌ لا يثورون، ولا يشكون، لا يُغَنُّون ولا يفرحون، ولا يبكون، لا يموتون، ولا يُحِبُّون، مخصيو اللسان وعاطلون عن التفكير، ليس من مهنة لكم سوى حراسة اللّيل والنعوش والقبور، فيا عبيد الوهم، يا قبائل العرب، ابحثوا في جثَّتي .!عن الحقيقة، لعلَّكم تهتدون

يا شعوب العرب، يا شعوب تُؤْثِر السلم كالخراف والأرانب والحيوانات الأليفة، أمَا حان لكم أنْ تكونوا شعوباً، تَسْكُن الشمس !والبرق والرعد والهاوية؟

*****

!الْقَمَرُ وَالنَّارُ

الرَّمْلُ يَنْبَعُ بَدَلَ الْمَاءِ

الْحِجَارَةُ ظَامِئَةٌ

الْأَرْضُ جَمَادٌ

الْمِلْحُ يَمْطُرُ مِنَ السَّمَاءِ

الْغُيُومُ قَاتِمَةٌ

الْقَمَرُ رَمَادٌ

النَّارُ تَثْلُجُ فِي الْبَيْدَاءِ

الْأَثْلَامُ قَاحِلَةٌ

الشَّمْسُ سَوَادٌ

الدَّمُ يَجْرِي فِي الشَّرَايِينِ

الْقُلُوبُ مُشْتَعِلَةٌ

الْأَرْوَاحُ عَتَادٌ

الصَّرْخَةُ تَعْلُو فِي السَّاحَاتِ

الْأَمْوَاتُ الْبِنَادِقُ

الْأَحْيَاءُ الطَّلَقَاتُ

اشْرَبِي مِنْ دَمِي الْكَأْسَ الْأَخِيرَةَ

مَوْتِي الْفَرَحُ

جَنَاحُ يَوْمٍ مُنْكَسِرٍ

اغْرِقِي فِي أُمْنِيَتِي الْمُسْتَحِيلَةِ

مَوْجِي السَّمَكُ

مِجْذَافُ فِينِيقِيّ مُنْتَصِرٌ

حَلِّقِي بِالْحَدِيدِ تَحْتَ سَمَائِي الْقَدِيمَةِ

عِقَابِي الْمَدَى

رَصَاصَةُ شَبَحٍ مُقْتَدِرٍ

هَلْ نَذْهَبُ مَعًا إِلَى الْمُدُنِ الْبَعِيدَةِ

هُنَاكَ حَيْثُ يَسْكُنُ الْجُنُونُ فِي أَغْصَانِ الشَّجَرِ

وَالْأَحْلَامُ فِي الْمَاءِ؟

هَذَا مَا لَا نُرِيدُهُ

حَتَّى انْطِبَاقِ السَّمَاءِ

أَنْتَ لَمْ تَكُنِ الْمَوْتَ

أَنْتَ لَمْ تَكُنْ دَقَّاتَ السَّاعَةِ

أَنْتَ لَمْ تَكُنِ الْقَادِمَ فِي الْمَسَاءِ

يُقَاوِمُ النَّرْجِسُ نِيرَانَ حَرْبِكَ

لَمْ تَجِدْ غَيْرَ الِاسْتِسْلَامِ لِلْوَهْمِ مِنَ الْخَوْفِ

الشَّمْسُ جُنُونُ الْبَحْرِ

طَلْقَةُ اللَّامعَقُولِ

أَسْرَابُ النَّوَارِسِ

أَنَا قَدْرُكَ الَّذِي لَمْ تُحِبَّهُ

سَاقُكَ الْحُبْلَى

بِزِيفِ الْحَقَائِقِ

قَتَلَتْكَ ذَاتُكَ الَّتِي هِيَ شَمْسٌ أُخْرَى

لَمْ تَخْرُجْ مِنَ الْكُتُبِ

كُنْتَ أَقْوَى مِنَ الْجُنُونِ

..وَأَضْعَفَ مَا لِلْمَنَاجِلِ

****

!هناكَ في بقاعِ النِّسيان

هناكَ في بقعةٍ

مِنْ بقاعِ النِّسيان

الآنَ في فكرةٍ تنامْ

هناكَ في الدَّهاليزْ

على كتفِ التَّاريخ

طفلٌ لينامَ

يُقتل

لأنَّ

غيرَهُ

قُتِلَ

هناك

هناكَ في بقعةٍ

مِنْ بقاعِ النِّسيان

الآنَ في زاويةٍ تُلامْ

هناكَ في الصَّناديقْ

على قدمِ التَّاريخ

امرأةٌ لتُلامَ

تُسفح

لأنَّ في أحضانِ الله

غيرَهَا

سُفح

هناك

هناكَ في بقعةٍ

مِنْ بقاعِ النِّسيان

الآنَ في بركةٍ تُقامْ

هناكَ في العمقِ العميقِ

مِنْ بطنِ التاريخ

رجلٌ لا يعرفُ العومَ

يصرخُ بالعالمِ أنْ يتركوهُ

على ظهورِ

حيتانِ الوول ستريت المعلقةِ بحبالِ

البحرِ فلا

يَغْرَقُ

يُغْرَق

لأنَّ

غيرَهَا مِنْ أسماكِ الموتِ

دفعَ غيرَهُ في الأمواجِ مِنَ الهوسِ

في العناقِ مَعَ

الأمواج

غَرَقْ

*****

!الْمَخَالِب

مِنْ بَيْنِ رُكَامَاتِ الِاسْتِيهَامِ

مِنْ حَوْلِ جَرَائِمِ الْحُرُوبِ

!فَجِّرْهُمْ

الْحِيتَانُ لَا تَتَأَثَّرُ بِالْأَمْوَاجِ

!احْرِقْهُمْ

الْبُرُوقُ لَا تَتَأَثَّرُ بِالنِّيرَانِ

!اصْعَقْهُمْ

فِي شَمَالِ الْقِطَاعِ

سَمَاءُ الْقَارَاتِ

عَلَى الرُّؤُوسِ

سَقَطَتْ

الْأُمَمُ بِالْأُمَمْ

اخْتَلَطَتْ

الصَّرْخَاتُ

تَسُنُّ الْهِمَمْ

خُيُولُنَا هِيَ الْأَشْجَارُ

الَّتِي تَصْهِلُ

فِي الْأَرْضِ

الَّتِي تَحْفِرُ

سَنَكُونُ مَخَالِبَ الصُّقُورِ

الْمُمَزِّقَةِ لِلصُّخُورْ

سَنَكُونُ الْمَرَاعِي لِلْغَضَبِ

مَا يُخَلِّصُنَا مِنَ الْكَذِبِ

نَحْنُ نُبُوَّةُ الدَّمْ

نَنْطِقُ بِالْآيَاتْ

نَرْفَعُ الْعُرُوشَ وَنَهْدِمُهَا

مِنْ جُثَثِ الْجُنُودِ شَهِقَاتْ

!أَنْتَ

لَا تُفِيدُ أَحَدًا آخَرَ غَيْرَكَ

مِنْ نَعِيمِ الْمَطَرْ

تُفِيدُهُمُ الضَّبَابْ

لَا تُفِيدُ أَحَدًا آخَرَ غَيْرَكَ

مِنْ شُعَاعِ الْقَمَرْ

تُفِيدُهُمُ الرِّيَاحْ

كُلُّهُمْ تُفِيدُهُمْ

أَغْصَانُ الْحَيَاةِ الْمُحَطَّمَةْ

وَتُفِيدُكَ

..أَغْصَانُ الْمَوْتِ الْمُوَرِّقَةْ

****

!الحبُّ في زمنِ الحرب

لم نكنْ نفهمُ كيفَ الوصولُ هناكَ أو هناك

لم نكن نعلمُ ما السقوط

مِنْ حافةٍ في رملِ الفضاء

ما العناقُ مَعَ الآلهة

على شاطئِ السماء

خذي الليلَ واعطيني النهار

النهارُ مِنْ ذهبِ الحرب

الليلُ مِنْ ماسِ الحصار

خذي القلب

حملتُكِ وأنتِ ميتة

هناكَ القبر

وهناكَ الملحمة

ولم يتوقفوا عَنْ إطلاقِ النارِ عليّ

وأنتِ تبتسمينَ للشجاعة

لشيءٍ لَمْ ألتفتْ إليه

لشيءٍ لَمْ أزرعْهُ في الحديقة

لشيءٍ لَمْ افهمْهُ إلى اليوم

لشيءٍ يقالُ في المناسباتِ السعيدة

خلالَ حياةِ الجبناء

لأفعالٍ ليستْ أكيدة

لَمْ أكنْ مصممًا على دفنِكِ رغمَ كلِّ شيء

فكيف أعرف؟

الأراجيحُ في رأسي كثيرة

كنتُ أريدُ دفنَكِ فقطْ دفنَكِ

كنتُ أريدُ دفنَكِ في حكايتِنَا الأخيرة

أحبَبْنَا بعضنَا يومَ كنا لا نعرفُ بعضَنَا كالعصافيرِ الصغيرة

التي لا تكبر

كالديدان الكبيرة

التي لا تصغر

أحبَبْنَا بعضَنَا كقدمينِ تغطسانِ في الوحل

كأصابع تلعبُ مَعَ بعضِهَا

في الحرب

كهمساتِ الرصاصِ في بنادقِهَا

وفي غيرِ عودتِكِ إليّ

مِنَ الأرضِ في ذهابِهَا

!صرختِ اقطعْ بِيَ النهر

وجنودٌ من ناحيتيّ يطلقون الرصاصَ على الأسماكِ يريدونَ قتلها

هكذا ظننت

أنا القادمُ لخوفِكِ منها

دونَ خوف

فكيفَ أعرفُ الخوفَ وأنا لَمْ أتعلمْ حروفَ الخوفِ في كتبٍ وهمِهَا؟

هل أنادي أمي التي تخافُ عليَّ مِنْ خوفها؟

هل أغمضُ عينيَّ وأنام؟

هل أحلمُ بِكِ وكيفَ أنتِ عاريةٌ في حِضْنِهَا؟

هل أعومُ في حريرِ الوسائد؟

هل أمُدُّ يدي إليك؟

هل أطلقُ في عرسِنَا البنادق

عليك؟

لأهربَ مثلَ كلِّ مرةٍ تهربُ فيها الزنابق

مِنْ ثديِك؟

هل أسكنُ في البرق؟

مع الرعد؟

وأنامُ في أحضانِ الآلهاتِ فوقَ أجنحةِ الكواكب؟

****

!الزنابق والبنادق

لَمْ نكنْ نعلمُ ما السقوط

مِنْ حافةٍ في رملِ الفضاء

ما العناقُ مَعَ الآلهة

على شاطئِ السماء

خذي الليلَ واعطيني النهار

النهارُ مِنْ ذهبِ الحرب

الليلُ مِنْ ماسِ الحصار

خذي القلب

حملتُكِ وأنتِ ميتة

هناكَ القبر

وهناكَ الملحمة

ولم يتوقفوا عَنْ إطلاقِ النارِ عليّ

وأنتِ تبتسمينَ للشجاعة

لشيءٍ لَمْ ألتفتْ إليه

لشيءٍ لَمْ أزرعْهُ في الحديقة

لشيءٍ لَمْ افهمْهُ إلى اليوم

لشيءٍ يقالُ

في المناسباتِ السعيدة

خلالَ حياةِ الجبناء

لأفعالٍ ليستْ أكيدة

كنَّا بعضنَا يومَ كنا لا نعرفُ

بعضَنَا كالعصافيرِ الصغيرة

التي لا تكبر

كالديدان الكبيرة

التي لا تصغر

كُنَّا بعضَنَا كقدمينِ

تغطسانِ في الوحل

كأصابعَ تلعبُ مَعَ بعضِهَا

في الحرب

كهمساتِ الرصاصِ في بنادقِهَا

وفي غيرِ عودتِكِ إليّ

مِنَ الأرضِ في ذهابِهَا

!صرختِ اقطعْ بِيَ النهر

وجنودٌ من ناحيتيّ

يطلقون الرصاصَ

على الأسماكِ يريدونَ قتلها

هكذا ظننت

هل أغمضُ عينيَّ وأنام؟

هل أعومُ في حريرِ الوسائد؟

هل أمُدُّ يدي إليك؟

هل أطلقُ في عرسِنَا البنادق

عليك؟

لأهربَ مثلَ كلِّ مرةٍ

تهربُ فيها الزنابق؟

هل أسكنُ في البرق؟

مع الرعد؟

وأنامُ في أحضانِ الآلهاتِ

فوقَ أجنحةِ الكواكب؟

*****

!الغرباء

،يُحِبُّونَ الأَرْضَ أَكْثَرَ مِنْكُمْ

.الغُرَبَاءُ

لَمْ يَتْرُكُوهَا مِثْلَكُمْ

،لِلرِّيَاحِ

،لَمْ يُفْلِتُوهَا مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِمْ

."لِأَنَّهُمْ قَالُوا لَكُمْ" :ضِيعُوا فِي الطُّرُقَاتِ.

لَمْ يَذْرِفُوا عَلَيْهَا دَمْعَكُمْ

،بَعْدَ فَوَاتِ الأَوَانِ

،عَلَى جُذُوعِ الشَّجَرِ كَتَبْتُمْ أَسْمَاءَكُمْ

،وَامْحَتْ مَعَ مُرُورِ الأَيَّامِ وَالشُّهُورِ وَالفُصُولِ

،وَعَلَى الْمَاءِ نَحَتُّمْ أَحْلَامَكُمْ

.كَانَ أَسْهَلَ لَكُمْ مِنْ حَفْرِهَا فِي الصُّخُورِ

،مَارَسْتُمِ الظُّلْمَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ

،وَانْتَظَرْتُمْ أَنْ يُخَلِّصَكُمْ غَيْرُكُمْ مِنْ ظُلْمِ النُّجُومِ

،شَكْوَاكُمْ سَعَادَتُكُمْ

،اعْتَدْتُمْ مُمَارَسَةَ الْبُؤْسِ فِي قُصُورِ الْعَنْكَبُوتِ

،فِي الْبَحْرِ أَلْقَيْتُمْ مَاضِيَكُمْ وَمَعَ مَاضِيكُمْ مُسْتَقْبَلَكُمْ

،فِي الْبَحْرِ تَقَاطَعْتُمْ مَعَ الْغُرَبَاءِ

،هُمْ بِمَاضِيهِمْ وَمُسْتَقْبَلِهِمْ جَاؤُوكُمْ

،وَأَنْتُمْ غَادَرْتُمُوهُمْ وَأَيَادِيكُمْ فِي الْهَوَاءِ

،هُمْ غُرَبَاءٌ مِثْلُكُمْ

،فِي مَكَانٍ غَيْرِ الْمَكَانِ

،هُمْ أَشْقِيَاءٌ مِثْلُكُمْ

،فِي زَمَانٍ غَيْرِ الزَّمَانِ

لِمَاذَا اخْتَرْتُمْ أَلَّا تَخْتَارُوا مِثْلَهُمْ قَبْلَ أَلَّا يَخْتَارُوا مِثْلَكُمْ؟

لِمَاذَا تَرَكْتُمُ الأَرْضَ وَالشَّجَرَ لِلْبَحْرِ فَلَمْ يُغْرِقِ الْبَحْرُ الشَّجَرَ وَالأَرْضَ؟

،الْبَحْرُ أَغْرَقَكُمْ

الْبَحْرُ يُحِبُّ الْغُرَبَاءَ، الْبَحْرُ أَعْطَاهُمُ الشَّجَرَ وَالأَرْضَ

،مَا تَرَكْتُمْ

،الْبَحْرُ أَكْوَانُهُ الأَسْمَاكُ

،سَمَكاً الْبَحْرُ ظَنَّكُمْ

،الْبَحْرُ أَعْوَانُهُ الْحِيتَانُ

،حِيتَاناً الْبَحْرُ اعْتَبَرَكُمْ

،الْبَحْرُ أَلْوَانُهُ الأَزْرَقُ وَالأَزْرَقُ الْغَامِقُ وَالأَزْرَقُ الْفَاتِحُ

،زُرْقًا الْبَحْرُ رَآكُمْ

،أَسْقَى الْغُرَبَاءَ الْقَهْوَةَ فِي الصَّبَاحِ

،وَفِي الْمَسَاءِ فَرَشَ لَهُمُ الْمَوْجَ فِي دِيَارِكُمْ

،فَشَكَرَهُ الْغُرَبَاءُ

،وَأَنْتُمْ تَبْكُونَ أَنْفُسَكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ

،اصْعَدُوا سُلَّمَ الأَمْوَاجِ

،فِي كُلِّ غَابٍ ذِئَابٌ

،فِي كُلِّ ذِئْبٍ غَرِيبٌ

،فِي كُلِّ دَرْبٍ أَطْوَاقٌ

،فِي كُلِّ طَوْقٍ صَدِيقٌ

،مِنْ كُلِّ فِعْلٍ أَنْوَاعٌ

،مِنْ كُلِّ نَوْعٍ بَدِيعٌ

،مِنْ كُلِّ خَلْقٍ أَصْنَافٌ

،مِنْ كُلِّ صِنْفٍ جَدِيدٌ

،وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ حُبِّ الْحَيَاةِ قَتِيلٌ

،فِي مِرْآيَاهُمْ أَنَا

،وَأَنْتَ

،وَالْقَمَرُ

،دَخَلْنَا مِرْآيَاهُمْ وَسَنَبْقَى حَتَّى نَأْتِيَ بِالْبَحْرِ مَعَنَا

،سَنَبْقَى أَنَا وَأَنْتَ وَالْقَمَرُ

...لِنُضِيءَ

****

!نحنُ الظالمونَ

منذُ

أحرقني البرقْ

أشعلتُ

شَعري

بليلِ

الشقاء

منذُ

أغرقني الموجْ

شنقتُ

ثديي

بحبلِ

الماء

منذُ

أَرَّقَني الشوقْ

دمرتُ

ظلي

بشبقِ

المساء

منذُ

أقلقني الثوب

قطعتُ

حلمتي

بسكينِ

الهواء

كمْ

نحنُ

دميمون في مرايا الحطبْ

يا أبي

نحنُ

!الجميلونَ في مرايا النار

كمْ

نحنُ

قذرونَ مِنْ لعقِ الأفاعي

يا أبي

نحنُ

!النظيفونَ كجسدِ الشلال

كمْ

نحنُ

عدائيونَ على الساعةِ الثانيةِ بعدَ الظهرِ

يا أبي

نحنُ

!العاطفيونَ على الساعةِ الثامنةِ مساء

نحنُ

الظالمونَ يومَ العدلِ

في

مستنقعاتِ

الفضة

نحنُ

العادلونَ يومَ الظلمِ

في

مستنقعاتِ

الألماس

نحنُ

المجرمونَ يومَ يُنادى علينا

في

مستنقعاتِ

الحنة

نحنُ

المخلصونَ يومَ لا يُنادى علينا

في

مستنقعاتِ

الدماء

****

!جلنار أو زهر الرمان

بينَ الصخورِ كنتُ أختبئ

ونافذتُكِ فوقَ الجبلِ مغلقة

كنا أنا والعشبُ الأحمرُ نرتبئ

قدومَ خيولِ المرتزقة

جلنار

سأنهزم

جلنار

لنْ أقاوم

كانَ الندى على الصخورِ مِنْ دمعِ المساء

في الليلِ بكى الجبلُ لأنكِ بعيدة

أقربَ النجماتِ كنتِ في السماء

ويدي كانتْ غيمةً عنيدة

جلنار

سأبرقُ معَ الكلمات

جلنار

لنْ أمطرَ معَ النار

هربتُ مِنَ البشرِ وانتظرت

أنْ تفتحي النافذةَ وأنْ تطلي

صادقتُ الصخرَ وآخيت

ولمْ يكنْ في قلبِكِ غيرُ ظلي

جلنار

سيعتو قلبي

جلنار

لنْ أعتصمَ بالصبرِ

تنامينَ فوقَ الجبلِ والصخرُ يفتحُ عينيهِ عليّ

لأني أغمضُ عينيَّ وأنتِ فيهما

وأنتِ لم تأتِ إليّ

وأنتِ ضوءٌ معتمٌ في النهارِ حولهما

جلنار

سأطفئُ كوكبيّ

جلنار

لنْ أشعلَ شارعيّ

سآتيكَ صقرًا يحملُكِ على جناحيْه

وأذهبُ بكِ إلى عشٍّ بنيتُهُ لكِ بينَ الغمام

سأشتري لكِ مِنْ قرصانِ النجومِ سديميْه

وأشقُّ لكِ طريقًا في الأحلام

جلنار

سأكونُ نهايتيْك

جلنار

لنْ أكونَ بدايتيْك

****

!الكرامة

تعالَ نبحثْ يا أخي

عَنِ الكرامةِ في الكتب

ربما قالتِ الأقلامُ عنها شيئاً

بعدَ كلِّ هذي السنين

قالتِ الأقلامُ عنها امرأةً مجنونة

في الليلِ كانتْ تصرخُ فتوقظُ المدن

لماذا لا تناميْنَ في الليلِ كسائرِ البشر؟

هل تنحتينَ الأحلام؟

هل تحفرينَ الصور؟

هناكَ حُلْمٌ يترقرقُ في النوم

قبلَ أنْ يغدو حجر

صدَّقتها الحجارة

بالأصلِ كانتِ الحجارةُ

صخوراً حطمتْهَا

لماذا حطمتِ الصخورَ؟

وتماثيلُكِ كيفَ ننحتُهَا؟

كيفَ نصمدُ عَبْرَ العصور؟

كيفَ تتبعُنَا الأشجارُ

عندما نبتعدُ عنها؟

آمنتْ بها الأشجار

مَنَعَتْ ضربَ جذوعِ الأشجارِ بالفؤوس

هلْ تفهمينَ لغةَ الأشجار؟

هلْ تتكلمينَ غيرَ لغاتِ القلوب؟

هل تنادينَهَا بأسمائِهَا؟

نسينا الناسُ

ونسوا أسماءَنَا

ولمْ يُبْقوا لنا غيرَ الجنون

ووجوهَنَا

منا سمكُ القرشِ ومنا حمامُ يافا

ومنا غربانُ نابُلُسَ وأخرى مِنْ بعضِ

أنواعِ الطيور

أنا وجهُكِ ووجهُكِ أنا

آختْهَا الصقور

حلَّقتْ أعلى مِنَ الصقورِ

حتى قممِ الكون

هناكَ حيثُ يبدأُ الزمنُ

هناكَ حيثُ تولدُ السنون

كنا هناكَ نصعدُ على قدمينا

لنتحدى أمَّنَا

هل تذكرينَ ؟

عندما سقطتِ ونحنُ في وسطِ الهضابِ

ولمْ يكنْ لي غيرُك

وأنا عالقٌ بينَ الأرضِ والسماء

نبتَ لي جناحانِ وأنقذتُك

كنتُ أحبُّكِ أكثرَ مِنْ جبالِ هملايا

أكثرَ مِنْ كُلِّ الجبالِ

أكثرَ مِنْ كلِّ البحار

كنتُ أحبُّك

آوَتْهَا البحار

حَمَتْ سكانَ البحارِ مِنَ الانقراضِ

بتحطيمِ سفنِ الصيدِ بفؤوسِ الموج

أحرقتْ أشرعتَهَا بنارِ الماء

جعلتْ لأبناءِ البحارِ مِنْ بطونِهَا المروج

أسقتْهَا القهوةَ والشاي

هذا لأنَّ أصلَكِ سمكةٌ ملكةٌ نبية

مِنْ ضلعِ تاج

كالمسيح

آمنتْ بكِ الأمواج

وركعتْ لكِ الآلهة

مِنَ البحرِ يأتي كلُّ دينٍ

وتحتَ الشمسِ تذهبُ بِالدينِ الرياح

أدفأتْهَا الشموس

سدَّتْ براكينَ غزّة بكفيها

لأنَّ الموتَ أثلجَ منها على العالم

وفي حضني بكيتِ وأنا أتألم

بكينا أنا وأنتِ على حبيبتنا

لنْ تُؤثّرَ فيهمْ دموعُنا

ماذا نفعل؟

هلْ نهجرُ الأرضَ إلى قمرٍ هناكَ يناديناَ؟

أكرمَتْهَا الأقمار

أنارتِ الأقمارَ مِنْ جهاتِهَا المعتمة

على مَنْ ننادي؟

هلْ نثقُ بالثعابينِ التي تناديناَ؟

خبَّأتْهَا الأفاعي

دافعتْ عَنْ أطفالِهَا مِنْ سُمِّ الإنسان

...مِنْ كرمِهِ الأناني

****

!التجديد

أخرجُ في الليلِ

والقمرُ يغفو

أبحثُ في الظلامِ

عَنْ كلامٍ يلغو

أُغْلِقُ الصفحةَ الأخيرةَ مِنْ كتابٍ

على شجرةِ العُمر

أَخْنُقُ القديمَ مِنَ الأشكالِ

لعيبٍ في الصُّنع

أهمسُ لظلِّ امرأةٍ

تمرُّ مِنْ هنا

أشيرُ إلى جسدٍ

كانَ جسدَهَا

أنادي على العناكبِ

لتمشي معي

أَكِشُّ الحمائمَ

فلا تنقرُ لؤلؤي

قريبًا أفكرُ

سقوطُ المطر

عميقًا أنظرُ

في الخطر

جميلٌ ما لمْ يقلْهُ الرعدُ

للفاصلة

بديعٌ ما لمْ تبكِهِ العينُ

على الخاصرة

في الكَنْزِ كثيرٌ

مِنَ الكلمات

بالسطوِ قليلٌ

..مِنَ الأشكال

****

!الزورق المنسيّ

كَانَ البَحرُ هادِئًا وَالبَحَّارَةُ يَشرَبونَ فِي الحَاناتِ

:وَيَغنونَ

فِي إِحدى المُدُنِ تَرَكتُكِ هُناكَ"

"!أَنا لا أَعرِفُ أَينَها

وَيَقهَقهونَ

كَانَ الفَصلُ فَصلَ الخَريفِ وَكانَ البَحرُ خالِيًا مِنَ الأَمواجِ

وَعَلى الرِملِ كانَ أَطفالٌ يَلعَبونَ

لَم تَكُنِ النَوارِسُ أُمَهاتِهِم لَم تَكُن أُخواتُهُمُ الحَماماتُ

كانَ الأَطفالُ يَلعَبونَ وَيَصرَخونَ

وَفِي الحَاناتِ نَسِيَ البَحَّارَةُ أَينَ هِيَ البَحارُ

أَخَذوا يَرقُصونَ وَيَصرَخونَ

كَالأَطفالِ

وَعَلى الشاطِئِ زورقٌ مُنسِيٌّ

أَزرَقُ المِجذافِ

قُربَ قَميصٍ نِصفُهُ فِي الرِملِ

عَلى بُعدِ مِترَينِ مِن مَوجَةٍ لا تَموجُ

مِن صَندَلٍ مِن دونِ نَعلٍ

وَمِن ضَمائِرِنا الَتي تَرقُدُ فِي القُبورِ

زورقٌ مُنسِيٌّ

وَبَحَّارَةٌ نَسوا ما البَحرُ

وَأَطفالٌ يَلعَبونَ

كانَت هَذهِ هِيَ أَشياؤُنا المُبَعثَرَةُ

هُنا وَهُناكَ

اهتِماماتُنا الَتي لَم تَعُد

أَسرارُنا الَتي لا نَبوحُ بِها لِلرِمالِ

أَفكارُنا الَتي لَن تَتَشَكَلَ

فِي الأَبعادِ

شَفّافَةٌ شَفافِيَةُ العَبثِ الأَزرَقِ

الَذي تَلبَسُهُ المَومِساتُ

لِيَحمِينَ سِيقانَهُنَّ مِن بَردِ الحُبِّ

فِي مَساءاتِ يافا المَدينَةِ المَومِسَةِ المَدينَةِ البَتولَةِ ماخورِ العاشِقاتِ الطَيباتِ وَلَم يَكُنِ البَحَّارَةُ يَعرِفونَ

وَكَذلِكَ لَم يَكُنِ الأَطفالُ

كانوا يَرقُصونَ وَيَصرَخونَ

وَكَأَنَهُم يَحتَفِلونَ بِعيدِ المَوتِ

:وَيَرقُصونَ وَيَغنونَ

"فِي إِحدى المُدُنِ تَرَكتُكِ هُناكَ

"!أَنا لا أَعرِفُ أَينَها

وَيَقهَقهونَ

وَفِي العالَمِ الأَصداءُ

وَفِي الرُوحِ مَعاناةُ الرُوحِ

وَفِي القارِبِ المُنسِيِّ جَسدُكِ المُمَدَّدُ

بِانتِظارٍ

جَسدُكِ المَومِسِيُّ

جَسدُكِ البَتولِيُّ

هُناكَ قُربَ بَحرٍ بِلا أَمواجٍ

وَصَندَلٍ مِن دونِ نَعلٍ

...وَضَمائِرِنا الَتي تَنامُ

*****

!مرآة العالم المكسورة

في الحجرةِ رجلٌ عجوزٌ يفكرُ

على الجدارِ لوحة

النافذةُ مغلقة

اليومُ الأربعاء

الخريفُ يتساقطُ كلَّ يوم

بعضُ الأشجارِ عارية

هناكَ أسئلةٌ كثيرة

غابةٌ مِنَ الأسئلة

تنتظرُ فيها ذئبة

تعبثُ بخصلاتِ شعرِهَا

امرأةٌ لا يعرفُهَا الرجلُ العجوز

غيرُ مرئية

الرجلُ العجوزُ يعرفُ الأجوبةَ كلَّهَا

يشربُ المعرفةَ مِنْ ثديِ الموت

وَيُسقي طفلة

للقيءِ رائحةٌ تلمعُ كالأرقام

لا تقيئي المعرفةَ يا طفلتي

هُمْ يبكونَ في الحجرةِ المجاورة

ليسَ على موتاهُمْ هُمْ يبكون

هُمْ يبكونَ لأنهُمْ فقدوا المعاني

الأبيضُ لَهُمْ عربدة

اذهبي بعيدًا عَنْ حِضْنِي الفاسق

اكبري مَعَ العاهراتِ ثُمَّ تعالي

سأحنو عليكِ مثلما أحنو على ابنتي اليتيمة

أنا لَنْ أتركَهُمْ يخسرونَ حياتَهُمْ

أنا لَنْ أسمحَ لَهُمْ بتركِك

على حافةِ بطنِكِ أقحوانة

على حافةِ بطنِكِ أقحوانةٌ حمقاء

أجملُ ما فيكِ الأحمق

الأحمقُ على حافةِ بطنِكِ الجريمة

أنا لَنْ أموتَ على حافِة بطنِك

سأظلُّ خالدا

لأقاومَ عنكبة

سأقاومُ شفةً تغريني

يا جسدَ الإغراء

ثُمَّ أسقُطُ في الشبكة

****

!رحلةُ الحياة

أشربُ الرملَ من يدِ القبيلةِ

عندما أظمأُ في طريقِ الأنبياءْ

أحاورُ الأفعى قبل قتلها

عندما يكونُ الحوارُ واجبَ الصحراءْ

أنثرُ التبرَ على الظلِّ الأسمرِ

،حتى يغدو أشقرَ

عندما أصادقُ الأعداءْ

أعودُ إلى الحياةِ على شكلِ زنبقةٍ

اسقيني

لأبقى

أصلي للوهمِ في نغمٍ تسمعينَهُ في الليلِ

قبليني

لأشقى

أغتصبُ الظلَّ وأنتِ تمشينَ في الظلِّ

اعملي مني غريبًا عنكِ

لأرقى

أنا ذئبٌ، عني ابتعدي

أخذتُها بمخالبي

فأنَّتْ

كانتْ تريدُني شارعًا

سحقتُها على صدري

فمادتْ

كانتْ تريدُني حكومةً

جرحتُها بأنيابي

فهوتْ

لا تعاني

،باقةُ الزهورِ تعاني

عندما تعاني

لا تنادي

حزمةُ النجومِ تنادي

عندما تنادي

لا تبالي

سلطةُ الغيومِ تبالي

عندما تبالي

أنا لا ذنبَ لي

أنا في قفصِ البراءةِ طائرٌ

أنا لا بحرَ لي

أنا في قاربِ الرحيلِ مغامرٌ

أنا لا وطنَ لي

أنا في سفرِ الغريبِ عابرٌ

أنا النجمُ

لا أملٌ من بريقِ الزمن

أنا الطيرُ

لا أهربُ من عناقِ الوطن

أنا الموجُ

...لا أتعبُ من عناقِ السُّفن

****

!طفلٌ غزّيٌّ

أَكْرَهُكِ بِكُلِّ أَلْوَانِي

كُرْهِي مِثْلُهُ

لَيْسَ هُنَاكَ لَوْنْ

أَكْرَهُكِ بِكُلِّ أَفْنَانِي

كُرْهِي مِثْلُهُ

لَيْسَ هُنَاكَ فَنْ

أَكْرَهُكِ بِكُلِّ أَكْوَانِي

كُرْهِي مِثْلُهُ

لَيْسَ هُنَاكَ كَوْنْ

أنا الخارجُ

من جنازةِ العالم

...دمي ورديّ اللونْ

****

!سرابُ الحقيقة

تلكَ الثيابُ الذهبيّةُ

التي تغطي العدمْ

لا أرى وجودًا فيها

حيث لا ينفعُ الندمْ

تبدو كقمرٍ ساطعٍ

يُخفي الكوكبَ والنجمْ

النجمُ يلمعُ في السما

و وصولُه من الوَهمْ

وكأنَّها أحلامنا

في خريف هذا العمرِ

نركضُ خلفَ سرابها

وفي المدى

تزولُ النعمْ

تلاشتْ في صمتِ الليل

وصباحها

كأنما سطرُ الزمان

فيه كُتب على الرملْ

نبتعدُ عن دروبِ الحقيقة

والآمالُ هي الصدى

في عالمٍ ليس فيه يقين

وكلُّ شيءٍ فيه نَصْلْ

نظلُّ نعزفُ

ألحانَ السراب

والوجوه تَبتَسمْ

وفي النهايةِ

يُختتمُ الطريق

بما لا نعرفُه

...من الألمْ

****

!صمود المنسيين

في صَمتِ الظّلالِ

تُنارُ الأَحلامْ

ومِنْ خُيُوطِ الشَّمسِ

تُنسَجُ الآلامْ

حَوافِرُ خَيلِ التَّتارِ

تَغُوصُ في الظَّلامْ

البَرقُ مِنْ سَماءِ الحِصارِ

يَخرُجُ مِنْ بَينِ الرُّكامْ

غابَتْ شَمسُ المَوتِ

في الصَّباحْ

على عَصرٍ يَنامُ

في القُبُورْ

لَنْ تُوقِفَ المَدَّ

بِقُوَّةِ الرِّياحْ

عَزيمَتُنا تُحَلّقُ

أَسرابَ نُسُورْ

لنْ تستمرَ أبداً

مع هذا الصياحْ

نَحْنُ الثَّائرونَ

على صَمتِ الدُّهورْ

في هُدُوءِ الرِّياحِ

تَسيلُ الأَحزانْ

وترفرِفُ الأَرواحُ

على صَدى الأَكفانْ

مَرايا اللَّيلِ شاهِدَةٌ

على قِصَصِ الفُقْدانْ

والصَّوتُ مِنْ بَقايا

بَريقِ الوِجدانْ

تُساقِطُ الغُيومُ

دُمُوعَ الصَّباحْ

على عَصرٍ تَحَجَّرَ

في صَمتِ الجِراحْ

لَنْ يُطفِئَ الحُزنُ

وَهَجَ النَّهارْ

فإِصرارُنا جَمرٌ

...تُغَذِّيهِ النَّارْ

*****

!أثر الخيوط

ليسَ بسيطًا

بلْ لهُ أثرْ

خيطُ الشمسِ

حينَ يغدو

وترْ

ليسَ بسيطًا

بلْ لهُ أثرْ

مَنْ كنتَ تظنُّهُ

مَحاقًا

غدا قمرْ

ليسَ بسيطًا

بلْ لهُ أثرْ

أنْ تكونَ ملاكًا

بثوبِ

شرّ

وما كنتُ أحسبُهُ

قبرًا

صار لي

كفنْ

مزهِراً

بلباسِ جاهلٍ

مُعتمًا

تَهرُّ منهُ

الفِطَنُ

عشرينَ عامًا

ما شككتُ

يومًا

أنَّ خيوطَ السنينِ

من القطنْ

تلكَ ضربةٌ

أدمَتْ كبريائي

وما حسبتُ لها

زمنْ

كم توسلتُ الهروبَ

من نهايةٍ

كانت بدايةَ

المِحَنْ

نتعلمُ كلَّ يومٍ

أنَّ في هذا الكونِ

العَجَبْ

لا ندركُ ماهيَّتَهُ

إلّا عندما

...يزولُ السببْ

****

!صرخةُ الظلام

يصرخُ الصمتُ

في هديرِ السكونْ

والضياءُ يغرقُ

في ليلٍ مجنونْ

تصبُّ الصحونَ

على عرشِ الظلامْ

وتحملُ البردَ

في أقدامِ الحمامْ

نارٌ تُلوحُ في فجرِ

الشتاءِ القاسي

تحرقُ الثلجَ كجمرٍ

بينَ أقدامِ الناسِ

في غياهبِ الفجرِ

تغرقُ ألوانُ الضياءْ

وتتماوجُ في سكونٍ

بلا هدى أو إيماءْ

يُطفئُ البعيدُ نداءَ

النهرِ القريبْ

والريحُ تخنقُ أغنيةَ

الرحيلِ الغريبْ

تنسابُ القيودُ كندى

تحتَ ضوءٍ شحيحْ

وتحاكي السرابَ

في امتدادِ الليلِ الجريحْ

تتشابكُ الظلالُ

تحتَ نارِ الظلامْ

ويركضُ النورُ

كطيفٍ بينَ فكيّ السقامْ

تنبُتُ الأشواكُ

على جناحِ الفراشْ

تجري بلا وجهةٍ

تهربُ من وهجِ الرعاشْ

وفي عيونِ الصمتِ

صرخةٌ دفينةْ

تعزفُ لحناً من رمادِ

..العمرِ وسنينةْ

****

!صداء الغياب

في لُجّةِ الليلِ انحنى ظلُّ السحابِ

على الشطوطْ

والريحُ تهفو للسرابِ وقد تكسّرَ

في البيوتْ

أعينٌ تُحدّقُ في صدى

والحلمُ مرهونُ السكوتْ

أضواءُ نجمٍ تختفي

مثلَ الكلامِ بلا سقوطْ

ما كانَ غيرُ الليلِ يحملُ في يديهِ

شظايا الكلامْ

والريحُ ترتبكُ المدى

تتلو على الأفقِ السلامْ

لكنَّ أغنيةَ الغيابِ تظلُّ

مرهونةَ الظلامْ

والحلمُ أرجوحةٌ تدورُ على لسانِكِ

في الزحامْ

الموجُ يبكي والنوارسُ تُهملُ

البحرَ الكسيرْ

والريحُ تُغرقُ في صراخِ الريشِ

أسرارَ الأثيرْ

تبحثُ عن وطنٍ بعيدٍ

بينَ أصداءِ الضميرْ

لكنهُ المجهولُ يضحكُ

خلفَ أسوارِ العبيرْ

والأشجارُ ضاحكةٌ تطوفُ

بأغصنٍ دونَ خُضارْ

عرفتْ بأنَّ الفجرَ وعدٌ

لا يُفيقُ من الدمارْ

والأرضُ مرآةُ السرابِ تدورُ

في وهمِ المدارْ

نحنُ الصدى والريحُ فينا

..تُلهمُ الصمتَ الحوارْ

****

!امرأة في قطار

في القطارِ امرأة

وجهُهَا الحزنُ

يبتسمُ للحزن

خجلُهَا لوحةُ

الذكرياتِ القادمة

تنظرُ إليَّ عندما

أُغمضُ عينيّ

أراها في الكتبِ بحرًا

للسفنِ الراحلة

ماذا أفعلُ بالمسافات

وهي تنامُ

أبعدَ مِنْ قبلة؟

ظِلُّها سطرٌ

يحترقُ في القلبِ

طيفُها لحظةٌ

تُسافرُ بينَ الجفونِ وتغني

أحلامَ الليلِ

من شفاهٍ ضائعة

ماذا أفعلُ بالصمتِ

وهو ينامُ

..على أبعد بسمة؟

****

!صفورا

ما كانَ موسى لو لمْ تكنْ صفورا

في الحُسْنِ سوداءَ كالقمر

وفي الخُلْقِ كالليلِ بيضاء

صفورا أنتِ الرملُ لمَّا كانَ البحرُ غديرا

والبحرُ أصفرُ على أكفِّ الزمن

أخضرُ للعواصفِ في سيناء

سيكونُ الصغيرُ في الحُلْمِ كبيرا

الحجرُ ابنٌ للوطن

واللهُ أبٌ للأنبياء

أنا لنْ أرى في الكتبِ كثيرا

الخمرُ في الكتبِ كأسُ السَّمَر

الكأسُ موسى وأنتِ الرياء

التاريخُ لموسى كانَ السريرا

ولفرعونَ كانَ الهرم

ولكِ التأوهَ في المساء

أنتِ الثديُ للأرضِ كان حريرا

والحريرُ للأرضِ قهرٌ وعدم

لَبَنُكِ للأرضِ قيءٌ وماء

أنتِ السنينُ إذا غفَتْ في الريحِ سكرى

والريحُ مصلوبٌ على شفَةِ المدى

والمدى قيدٌ لمنْ ساروا عراة

أنتِ الفصولُ إذا انحنتْ للأرضِ قبرًا

والأرضُ مشبوبةٌ بأكُفِّ النكْبَةِ

والنَّكبَةُ في الجُرحِ غُصاة

أنتِ البلادُ إذا استباحتْ أهلَها نارًا وزهْرًا

والزهرُ في كفِّ الجنازاتِ اشتعلْ

والنارُ في صدرِ الأُباة

أنا لن أرى في الحبرِ إلا الوَهْمَ بحرًا

والبحرُ في الأوراقِ مصلوبُ الجسَدْ

والحرفُ في كفِّ اللغات

أنا لن أرى موسى سوى ظلٍّ تعرَّى

يمشي على ماءٍ بلا ظلٍّ لهُ

ويعودُ محمولَ الرُّعاة

****

!ازدواج

يُطاردني ثغركِ

جيشاً من القبلات المستحيلة

ولا أقبل الإستسلام

على ثغركِ أقبل الهزيمة

يُطاردني ثديكِ

سرباً من اللمسات المستميتة

ولا أرضى بالموت الزؤام

على ثديكِ أرضى بالجريمة

وَقَفَتْ طَويلاً

أَمامَ المِرْآه

سَرَّحَتْ شَعْرَها

وَوَضَعَتْ

أَحْمَرَ الشِّفَاهِ

وَخَرَجَتْ

لَيْلاً

لِاصْطِيَادِ

ضَحَايَاه

الجمالُ

هُوَ النارُ

التي

في الثلجِ

الاحلامُ

التي

في الثوبِ

الصيفُ

الذي

في القمرِ

****

!عبث الظلال

أنام على مقعد في محطة الأحلام بعد آخر قطار

أنا والمجد غمامتان

ننادي على الأقمار في النهار

لنعبث بالموت كالأطفال

لنمشي على الأمواج في البحار

لنبني السفن من الأوهام

تعالي معنا

نحن ما لا تريده النجوم

نحن أممنا

نحن كنا ما نكون

خطوات على الرمال

ذياب تعوي لتكون

أفكار تلغي الأفكار

اسمعينا بعد الرحيل

قبل هبوب الرياح

الأنين يروي الأنين

جاءت الأزمان معنا

الأنين

جمرة الراوي الحزين

كانت الأزمان مثلنا

عبثا كانت الأيام

كانت لنا أمنا

يوم تركتنا ونحن نيام

ماذا تقولين لها عني

الأشياء العقيمة لا تقال

كانوا كلهم غيري

الكلام غير الكلام

ليعرفوا غيري

الكائنات الحمقاء

الأفاعي من فمك

العقارب الصفراء

القنافذ على صدرك

التماسيح البيضاء

الكواسر في أصابعك

يا إلهي كم هم دميمون في الظلام

العلق في حلمتيك

ظلال الأموات

ظلال في ظلال

ظلال في ظلال في ظلال

هل تعلمين ما تعني الظلال في اليقين

ماء الألوان

الليل عندما لا يتنفس كالتنين

موت الأحلام

ليختنق الليل على خصرك

ليخنقني بيدك

وتتسلل أنفاسك بين ثنايا الزمن

كأنها نسمة صيفٍ على جبين القدر

تتراقص النجوم في سماء الغسق

وتغني الريح بألحان السهر

في عينيكِ، أرى موانئ الأمان

وفي قلبكِ، تتوهج شمس النهار

أنتِ الحلم الذي لا ينتهي

والواقع الذي لا يُحتمل الإنكار

****

!أَكَادُ أَتَفَجَّرُ

كلما أمسكتُ قلمي لأكتبَ قصيدةً أمسكُ بالبحرْ

وبالعالمِ موجاً مِنَ الأفكارِ التي رائحتُهَا زيتُ السمكِ والقيءْ

عطرُكِ يهلكُنِي كالسُّمْ

ألذُّ ما أجرعُهُ مَعَ موتي البطيءْ

أنتظرُ جنازةَ الأمواجْ

ضحكاتُكِ على الوجوهِ الحزينةِ آثارُهَا كوميديا الإنسانيةْ

والشرطُ الذئبيُّ في الإنسانْ

وأنتِ ترقصينَ عاريةً في خريفِ الآلهةْ

ماذا ستقولُ لِيَ الأوراقُ الذهبيةُ عندما تتساقطْ

لخداعِ روحي ماذا ستقولْ

لإلهامي بحفيفِهَا

أنتِ العاريةُ مِنْ وجودِكْ

آلافُ المراتِ ناديتُ عليكِ في الشبقِ العدميْ

مِنْ خصورِ الآلهةِ أنتِ

وَمِنْ ساقِ المنحوتةِ بإزميلٍ رومانيْ

مِنِ انتصابِ جذوعِ الأممِ المهزومةْ

أممي المهزومةُ بِحُبِّكِ القصريْ

قلتِ لي نحنُ في الناحيةِ الأخرى للعالمْ

وأخذتِ تبكينْ

كانَ الأسى

وكانَ أساكِ يُمَتِّعُنِي

أنا الفرحُ النبويْ

قلوبٌ تفتكُ بها الأفاعي على فكرةٍ تختلُّ بها الكلماتْ

أفتديكِ بعمرٍ مِنْ أعمارِ صبايا الآلهةِ العاهراتْ

أحطمُ مِنْ أجلِكِ جبلاً مِنَ المعاصي

أسحقُ لحبِّكِ نهراً مِنَ الرذائلْ

فأقوى بضعفِ العواطفْ

برقيقِ المشاعرْ

تعالي إلى البرقِ الذي فيَّ قبلَ أنْ ينطفئْ

اصرخي مَعَ الرعدِ الذي عليَّ قبلَ أنْ ينخرسْ

العواصفُ تثورُ في أحشائي

وأنا لهذا أكادُ أتفجَّرْ

أنا أقتربُ مِنْ رياحٍ تقتربُ مِنِ اقتلاعِ الأشجار

اقترابي لَنْ يبعدَنِي عنكِ كثيرا

أنتِ أقربُ مِنْ ظلّي إليَّْ

أنتِ في صميمِ كلِّ أبعادي الميتافيزيقيةْ

أنتِ المجهولُ في علمِ الرياضياتِ اللغويَّْ

القدرةُ التي هِيَ عنوانٌ ضائعٌ مِنْ عناويني

الطاقةُ في السِّجِلِّ المفتوحِ على الظلامِ الشعاعيِّْ

اطلبيني أسرارَ الآلهةِ أفشيها لَكِ

أُسلّمُ الرُّوحَ لِصَهوَةِ اللَّيلِ تَشرَبُنِي

وَأَنَامُ الآنَ فِي صَدرِ الخَلِيقَةْ

وَبِأَحلَامِكِ أَبنِي مَلجَأً لِلمَطَرِ

هَكَذَا البَحرُ يُعَلِّمُنِي خِتَامَ القَصِيدَةْ

****

!أوهامُ البقاء

على جذوعِ الشجرِ كتبتُمْ أسماءَكُم

وامحتْ مَعَ مرورِ الأيامِ والشهورِ والفصول

وعلى الماءِ نحتُّمْ أحلامَكُم

كانَ أسهلَ لكمْ مِنْ حفرِهَا في الصخور

مارستُمِ الظلمَ على أنفسِكُم

وانتظرتمْ أن يخلِّصَكُمْ غيرُكُمْ مِنْ ظلمِ النجوم

شكواكُمْ سعادتُكُم

اعتدتمْ ممارسةَ البؤسِ في قصورِ العنكبوت

وفي الغيمِ رسمتُمْ وجوهَكم

فذابتْ مع أوَّلِ رشَّةِ مطرٍ

وعلى الرمالِ شيدتُمْ قصورَكم

فابتلعتها أمواجُ البحرِ في لحظةِ قدرٍ

خدعتمْ قلوبَكم بالآمالِ الكاذبةِ

وألبستُم الحقائقَ ثوبَ الزيفِ

صرتُم سجناءَ في أقفاصِ أمانيكم

وظننتمُ السماءَ تُجيدُ الإنصافَ والحيفِ

كيفَ ترجون الأرضَ أن تزهرَ بكم؟

وأنتم تُطفئونَ بذورَ الحُبِّ بالجمودِ

إنْ لم تُحسنوا البِناءَ في أعماقِكم

..فلن يُنقذكمْ الغيبُ مِنْ عتمةِ الوجودِ

****

!بينَ العلمِ والعدم

آنَ أوانُ الفهم

جهلةُ اللهِ أَعْلَمُهُم

في علمِ القلم

كأنَّ الضياءَ غمامٌ مضى

يُخفي النُّجومَ ويُبدِي الألَم

تأمَّلْتُ في لوحِ أقدارِنا

فكانَ اليقينُ سرابَ الوَهَم

وفي كلِّ نبضٍ دعاءُ الحياة

يُجيبُ الجليلُ بفيضِ النِّعَم

فهل نحنُ نبصرُ معنى الوجود؟

أم الدربُ يَغرقُ بينَ العَدَم؟

سنينٌ تُنادي، وأحلامُنا

تلوذُ بسرٍّ من الغيبِ صَم

على حافةِ الحقِّ ضاعت رؤى

تأرجَحَتِ الأرضُ مثلَ العَدَم

فكيفَ نسيرُ وعُكَّازُنا

شظايا الأسى في مسارِ القِيم؟

أيا قارئَ اللوحِ، ما زالَ فيه

...بريقُ الرجاءِ ولو بعدَ ظلم

*****

!خُمرُ المَعابِد

شَرِبتَ كُلَّ خُمورِ المَعابِدِ

وَلَمْ تَثْمَلْ

خَرَجتَ عارِياً مِنْ حُجرَةِ الرُّهبانِ

وَلَمْ تُمهَلْ

ماذا بَقِيَ مِنكَ

لَمْ تَفعَلْ؟

وَهَلْ بَقِيَ مَكانٌ لِسُؤالٍ

كَيْ نَسأَلَ؟

تَجَوَّلتَ بَينَ كَواكِبِ الطِّينِ

وَلَمْ تَرتَحِلْ

سَبَحتَ في بَحرٍ مِنْ نُجومِ الصَّيفِ

وَلَمْ تَكتَمِلْ

ما الَّذِي لَمْ يَذَرْهُ خَيالُكَ

وَلَمْ يَزَلْ؟

وَهَلْ بَقِيَتْ أَرواحٌ لِنُسأَلَ

كَيْ نَحتَفِلَ؟

الحزنُ حصانُ الوقتِ

حوافرُهُ لا تكفي لوصفه

الفرحُ ظلُ الوقتِ

عقاربُ الساعةِ لا تحركه

واجَهتَ جُنونَ البَحرِ

وَلَمْ تَبتَعِدْ

تَحَدَّيتَ شَياطينَ الزَّيفِ

وَلَمْ تَرتَعِدْ

لا أَظُنُّكَ لِلوَعَةِ العِشقِ

مُستَعِدٌّ

!العِشقُ

أَنْ تَكتُبَني

بِذاتِ الدَّهشَةِ

الَّتِي

يَكتُبُ بِها الشَّاعِرُ

كُلَّ

قَصيدَةٍ جَديدَةٍ

هُوَ

أَنْ تَراني

كُما يَرى النّاسِكُ

مَعبَدَهُ

فَتَسمو عَواطِفُهُ

فَيَتَعَبَّدُ

سِنيناً

..طَويلَةً

****

!صرخةُ العدم

عندما تتساقطُ أوراقُ الشجرِ

على جسدي العاري

تعوي الذئابُ مِنَ البردِ

فَيُدْفِئُهَا الخريفُ بالغيومْ

عندما أقولُ للرياحِ

هناكَ أسكنُ

تثورُ العواصفُ

تحتَ دِرَفِ النوافذِ

فَتَمُوجُ البحارُ

المحطمةُ مراكبُهَا

على رملِ الهمومْ

لا تسقطي مثلي في الوحولِ

عندما يسقطُ الثلجُ

فيسقطُ الضوءْ

لا تبني مثلي في الرملِ

عندما يبني الثعلبُ

فيبني الموجْ

لا تثقي مثلي بالصدى

عندما يثقُ الصمتُ

فيثقُ الليلْ

لَا تَغرِقِي مِثلِي فِي أَعمَاقِ السَرَاب

عِندَمَا يصِيحُ الوقتُ

...فَيصمتُ العدمْ

****

!فلربما

أمدّ لك من هذا الصباح

طَرفَ قميصٍ

تعب من الانتظار على حبال الغسيل

أو بقايا نداءٍ

علق في فم الغيم

فلمْ يصل

أمدّه إليك

مغموساً برماد النوايا الطيبة

محترق الحواف

كأحاديث المساءات الضائعة

:وأقول لك

خذ ما تبقى من هذا الركام

خذ ما استطعتَ إليه سبيلا

فإنَّ الهواء

مثقوبٌ كالأمنيات

والصوت

مرهونٌ بشروط الفقد

هنا

تتبخر الزنابق قبل أنْ يلمسها الضوء

ويصدأ الحنين

في علب الأغاني القديمة

هنا

نقصّف من جدران الغياب

أقماراً ورقية

ونرسم عليها وجوه من عبروا

دون أنْ يلتفتوا

لم تعد الصباحات تهدينا نكهة الخبز

ولا العصافير تفسر أغنياتها الأولى

كلّ شيءٍ

يمرُّ على استحياء

حتى نحن

صرنا نظن أننا أقلّ من حضورٍ

وأخفّ من ظلٍّ

علق صدفةً

على جدار الوقت

فاخترت لك من هذا الصباح

وجعا لا يُقرأ

ولا يكتب

ولا يشهر سيفه

لكنه يُبقيك واقفا

على حافة كل سؤال مؤجل

اخترت لك

نغمةً

تتهجّى انكسارها بهمسٍ خجول

وتعيد ترتيب الحزن

على مقاماتٍ

أضاعت الطريق إلى العزاء

اخترت لك من هذا الصباح

حكايةً

تبدأ من حيث

.... لمْ يعدْ أحدٌ يسأل عن النهايات

****

!حافّةُ الدهر

وقفتُ على حافّةِ المعنى

:أسائلُ الوقتَ

من أنت؟ وماذا تريد؟

أيجري ليهربَ منّي الزمان؟

أم أنا العابرُ، والدهرُ قيدٌ شديد؟

نجومٌ تلوّح في ليلِها

ولا تعرفُ السرَّ في ما نُعيد

:فقلتُ

لعلّ السؤالَ هو الأصل

وليس الجوابُ هو المستفيد

فنحنُ ظلالُ الحكايا العتيقة

.....نعيدُ المدى، والعدمُ من جديد